﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۝٦٠﴾ [الفرقان: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المُناسَبَةُ بينَ نِعَمِ اللهِ تَعالى، وبَيْنَ ما أَظْهَرَهُ الكُفّارُ مِن نُكْرانٍ وكُفْرانٍ

لمّا ذكَرَ اللّهُ تَعالى إحسانَهُ إلى العِباد وإنعامَهُ عَلَيْهِم؛ أعقبَهُ ببَيان ما أَظْهَروهُ مِنَ الكُفْر في مَوْضِعِ الشُّكر، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُفُورَۢا﴾: (نفر) تدلُّ اشتقاقاتُها عَلى مَعْنى التَّجافي والتَّباعد[2]، وأصلُ النَّفْر: الانْزِعاجُ عَن الشَّيء وإلى الشَّيْءِ[3]، والنُّفور: الشِّرادُ ابْتِعادًا عَنِ الدّاعي ونحوِه، والنّفار: هوَ الشُّرود والهروب، كنفور الدّابَّة ونفارها[4]، ومنهُ قولُ اللّه تَعالى: ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا﴾[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شِدَّةُ عِنادِ الكُفّارِ وعِظَمُ مُكابَرَتِهِم

وإذا قيلَ لِهؤلاءِ الذين يَعْبُدون مِن دونِ اللّهِ تعالى ما لا يَنْفَعُهم، ولا يضرُّهم: اجْعَلوا سجودَكُم للّهِ سُبحانَهُ خالِصًا دونَ الآلهة والأوثانِ؛ قالوا عَلى وجْهِ العِناد والمُكابرَةِ: وما الرَّحْمن؟ أَنَسْجُدُ نحنُ - يا محمَّدُ - لِما تأمُرُنا أنْتَ أن نَسْجُدَ لَه؟ وزادَ هَؤُلاء المُشْركينَ قولُ القائلِ لَهُم: اسْجُدوا للرَّحمنِ فِرارًا[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 416.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نفر).
(3) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (نفر).
(4) عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: (نفر).
(5) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نفر).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 288، ونخبة من أساتذة التفسير، التّفسير الميسر، ص: 365.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في جُملَةِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾:

الواوُ في ﴿وَإِذَا﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ استئنافيَّةٌ[1]، فالجُملةُ بعده مُستَأنفةٌ، وردَت عَلى سبيلِ الاسْتِطْرادِ، وذلكَ أنَّه لَمّا جَرى ذِكْرُ وصْفِ اللّهِ تَعالى بالرَّحْمَن مع صِفات أُخَر؛ بيَّن كُفْرَ المُشْركين بِهَذا الوَصْفِ في اسْتِفْهامِهم اسْتِفْهامًا إنكاريًّا ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[2].

بَيانُ كُفرِ أَهلِ الشِّركِ بِاسمِ اللّهِ تَعالى (الرَّحْمن)

دِلالَةُ تَعْليقِ الشَّرْطِ بِالأداة ﴿وَإِذَا﴾:

عُلِّق الشَّرْطُ بـ (إذا) في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ للدَّلالةِ عَلى الجَزْمِ بوُقوعِ الشَّرط، على ما هو الأَصْلُ في (إذا)، وذلكَ يَدُلُّ على تحقُّقِ دَعْوَةِ النَّبيِّ ﷺ - وغيرِه - لَهُم وأَمرِهم بالسُّجودِ للّهِ سُبْحانَهُ، ولكنَّهُم قابَلوا ذلكَ بِالعِنادِ.

تَحَقُّقُ دَعْوَةِ النَّبيِّ ﷺ لِلكُفّارِ

دِلالَةُ بِناءِ فِعْلِ القَوْلِ ﴿قِيلَ﴾ لِلمَفْعولِ:

بُنِي الفعلُ ﴿قِيلَ﴾ لِلمَفْعولِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ للإشارَةِ إلى العُموم، أي: إذا قيلَ لَهُم ذَلِكَ من أيِّ قائلٍ كانَ؛ كان ردُّهُم واقِعًا عَلى وجْهِ التَّكبُّرِ والجُحودِ والعِناد[3].

وفي بِناءِ الفِعْلِ للمَفْعولِ أَيْضًا إِشْعارٌ بشدَّةِ نُفورهم من أصلِ تسميةِ اللّهِ سُبْحانَهُ بالرَّحْمن[4].

شِدَّةُ نُفورِ الكُفّارِ مِنَ الحَقِّ؛ كانَتْ حِجابًا بَيْنَهُم وبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ

سِرُّ اخْتيارِ اسْمِ اللهِ (الرَّحْمن):

اخْتيرَ اسمُ اللّه (الرَّحمن) من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ ليكونَ ذَلِكَ أدعى لِقَبولِ طاعةِ اللّهِ تَعالى؛ إذِ المَعْنى: اسْجُدوا للرَّحْمن الَّذي لا نِعْمَةَ لَكُم إلّا مِنْهُ، فإذا أَعْرَضوا،

إعْراضُ المُشْرِكينَ عَنْ أَعْظَمِ مُنْعِمٍ عَلَيْهِم: سَبَبٌ في ضَلالِهِم وهَلاكِهِم

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 33.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 19/ 61.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 416.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5308.

وتكَبَّروا عَن ذَلِكَ، كانَ ذلك في غايَةِ البَشاعَةِ والشَّناعة؛ إذْ قَد أَعْرَضوا عَن أَعْظَم مُنْعِم علَيْهِم[1].

دِلالَةُ الخَبَرِ عَلى الكِنايَةِ في الآيَةِ الكَريمَةِ:

التَّعْجيبُ مِنْ حالِ الكُفّارِ في عِنادِهِم وبُهْتانِهِم

قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبرٌ محقَّقٌ؛ لأنَّه عُلِّق بأداةِ الشَّرط (إذا) الدّالَّة في الأصلِ عَلى الجَزْم، بِوُقوع مَدْخولِها، وهذا الخبَرُ لَيْسَ جاريًا عَلى أَصْلِه في إفادَةِ الإخْبارِ عَنْهُم بِما ذُكر؛ لأنَّه معروفٌ مُشْتَهَرٌ مِن أَمرِهِم، وإنَّما الخبَرُ هَهنا مُسْتَعْمَلٌ على سبيلِ الكِنايَةِ في التَّعجيبِ مِن عِنادهم وبُهْتانِهِم[2].

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَمَا﴾:

عَطْفُ الكَلامِ الصّادِرِ مِنْهُم عَلى الكَلامِ المُوَجَّهِ إلَيْهِم

الواوُ في ﴿وَمَا﴾ من قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ عاطفةٌ الكلامَ الَّذي صَدر مِنْهُم عَلى الكلامِ الَّذي وُجِّهَ إليهِم في أَمرِهِم بالسُّجود للرَّحْمن، وذلك عَلى طريقَةِ دُخولِ العَطْفِ بينَ كَلامَي المُتَكَلِّمَين، كالَّذي في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ﴾[3] [البقرة: 124].

ويجوزُ أَن يكونَ عَطْفًا عَلى محذوفٍ، كأنَّهُم قالوا: سَمِعْنا قولَك من قبلُ، وما هذا الَّذي تريدُهُ، وتُسَمّيه الرَّحمن؟ كأنَّهم حَسِبوا أنَّه شيءٌ غيرُ اللّهِ تَعالى[4].

دِلالَةُ الاسْتِفْهامِ في ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾:

الاسْتِفْهامُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يجوزُ أَن يكونَ اسْتِفْهامًا جاريًا عَلى حقيقَتِهِ في طلبِ العِلْمِ بِشَيْءٍ لَم يَكُنْ معلومًا من قبلُ، وهو إمّا سؤالُ طالبٍ للحقيقةِ، إذا قُلْنا: إنَّهم كانوا مُنْكِرين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 416.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 62.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 62.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5307.

للّه تعالى، وإمّا سُؤال عن الاسم، إذا قلنا: إنَّهم كانوا مُقِرّين باللّهِ تعالى، ولكنَّهُم جَهِلوا كونَه سُبْحانَهُ مُسَمًّى بِهَذا الاسم[1].

سُلوكُ المُشْرِكينَ طَريقَ التَّجاهُلِ والمُغالَطَةِ

واسْتَظْهَر أبو حيّان أنَّ السُّؤال صادِرٌ مِنْهُم على سبيلِ التَّجاهُلِ والمُغالَطَة، وذلكَ لأنَّهم لمّا أُمِروا بالسُّجود للرَّحمن بذِكْرِ الصِّفة المقتضيَةِ للمُبالغَةِ في الرَّحْمَة؛ أَظْهَروا التَّجاهل بهذهِ الصِّفة الَّتي للّه سُبحانَهُ مُغالَطةً مِنْهُم ووقاحةً، فيكون كقولِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشّعراء: 23] على سبيلِ المُناكَرَةِ والمُكابَرَة، حينَ أخبرَهُ موسى عليه السلام بأنَّه ربُّ العالمينَ، والدَّليل على أنَّ فرعونَ كان عالمًا برَبِّ العالمينَ قولُ موسى عليه السلام له: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: 102]، وكذلكَ أهلُ الشِّرك اسْتَفْهَموا عنِ الرَّحمن استفهامَ مَن يَجْهَلُه في الظّاهِر، وهُم عالِمون بهِ في حقيقَةِ الأَمر[2].

ويجوزُ أَن يكونَ الاستفهامُ مُرادًا بهِ التَّعجُّبُ والاستغرابُ، وذلك مِنْهُم تفنُّنٌ في الإباءِ والجُحودِ، والمَعْنى: وما هذهِ الأسماءِ والأَعْلام الَّتي تُصَدِّعُنا بها، وتَقْرَعُ آذانَنا بالإذْعانِ لَها[3] ؟

نُكْتَةُ الاسْتِفْهامِ بِـ(ما) دونَ (مَنْ):

(ما) في قولِ اللّه تعالى: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ استفهاميَّةٌ، وآثَروا اسْتِعْمالَ (ما) الاستفهاميَّة دونَ (مَن)؛ لأنَّهم أَرادوا بكلامِهم هذا الاسْتِغْرابَ بِتَجاهُلِ هذا الاسْم[4].

دِلالَةُ الاسْتِفْهامِ في قولِهم: ﴿أَنَسْجُدُ﴾:

تـأبّـي الـكُـفّـارِ واسْتِكْبارُهُم عَنْ طاعَةِ اللهِ تَعالى

الاسْتِفْهامُ في قولِ اللّه تَعالى حِكايَةً لِقولِ أهلِ الشِّرك: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، لا يُراد بهِ حقيقَتُه مِن طلبِ العِلْمِ بِشَيْءٍ لَم يَكُن معلومًا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 479، والبقاعيّ، نظم الدرر: 13/ 416.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 122.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 435.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 62.

مِن قبلُ، وإنَّما المُرادُ به التَّعجُّب مِن أَمرِه والإنكار عليه، ولازِمُ ذَلِكَ الامتِناعُ والإباءُ، أَيْ: لا نَسْجُدُ للَّذي تَأْمُرنا بالسُّجودِ لَهُ[1].

دِلالَةُ (ما) في ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾:

تَـنَـوُّعُ المَعـاني لِـتَـنَـوُّعِ دِلالاتِ الأَلفاظِ

(ما) في ﴿لِمَا﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ اسمٌ موصولٌ بِمَعْنى (الذي)، والعائِدُ محذوفٌ، والتَّقدير: (أَنَسْجُدُ للَّذي تأمُرُنا بالسُّجود له؟).

ويجوزُ أن تكون (ما) نكرَةً موصوفَةً، والمعنى: (أنسجُدُ لِشَيْءٍ تأمُرُنا بالسُّجود له؟) وأن تكونَ مصدريَّةً، واللّامُ حينئذٍ يُراد بها التَّعليلُ، والتَّقدير: (أَنَسْجُدُ لَهُ لأجْلِ أَمرِكَ إيّانا)، أو (أَنَسْجُدُ لأَجْلِ أَمرِكَ إيّانا)[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَأْمُرُنَا﴾:

اسْتِمرارُ النَّبيِّ ﷺ في دَعْوَتِهِ رُغْمَ المُواجَهَةِ والمُجابَهَةِ

جاءَ التَّعْبيرُ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَأْمُرُنَا﴾ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ للدَّلالَةِ عَلى التَّجدُّد والدَّوام، ففي هذا إشارَةٌ إلى اسْتِمرارِ النَّبيِّ ﷺ في دَعْوَتِه، وأنَّهُ لَم يَفْتُر عَن أَمرِهِم بِعِبادَةِ اللهِ تَعالى رُغْمَ ما صدرَ عَنْهُم مِن إنْكارٍ وعِنادٍ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿تَأْمُرُنَا﴾ و(يَأْمُرُنا):

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِـلـقِـراءاتِ القُرْآنيَّةِ

قرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ ﴿يَأْمُرُنَا﴾ بياءِ الغَيْبَة، وقرأ باقي العشرَةِ ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بتاء الخِطاب، ووَجْهُ الخطاب ﴿تَأْمُرُنَا﴾ أنَّه خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، فيكونونَ قَد تَلَقَّوا أمرَهُ ﷺ بالرَّدِّ والإنْكارِ عليه، وهَذا مِنْهُم في غايَةِ القُبْحِ والشَّناعة[3].

ومَن قرأ بالغَيْبَةِ ﴿يَأْمُرُنَا﴾؛ فإنَّ المَعْنى: أَنَسْجُدُ لِما يَأْمُرُنا محمَّدٌ ﷺ بالسُّجود له؟ وذلكَ على وجْهِ الإنْكارِ مِنْهُم لذَلِك، وجوَّز بعضُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 416، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 62.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 40، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 62.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 122، وابن الجزري، النشر: 2/ 233، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 62.

أهلِ العِلْمِ أَن يكونَ مَرْجِعُ الضَّميرِ الرَّحمنَ، أي: أَنَسْجُد لِما يأمرنا الرَّحمنُ بالسُّجود له، وفيه نظرٌ؛ لأنَّهُم أَنْكَروا الرَّحمن بالكُلِّيَّةِ، وإِنْكارُهُم ما صَدَر عَنْهُ فيه إِقرارٌ لَهُ[1].

دِلالَةُ إِيجازِ الحَذْفِ في ﴿تَأْمُرُنَا﴾:

طَـيُّ مـا دَلَّ السّياقُ عَلَيْهِ اقْـتِـصـادًا في اللَّفْظِ

في قولِ اللّه تَعالى: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ إيجازٌ بالحَذْفِ، وذلكَ لأنَّ العائِدَ مَحْذوفٌ، والتَّقديرُ: (أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا بالسُّجود لَهُ؟) ثُمَّ صار التَّركيبُ: (تأمُرُنا بِسُجودِهِ)، ثُمَّ: (تأمُرُنا سُجودَهُ)، كقولِ العرَبِ: (أمرتُكَ الخيرَ)، ثُمَّ صار بالحَذْفِ: تَأْمُرُناهُ، ثُمَّ: تَأْمُرُنا، وهذا الحذْفُ التَّدْريجيُّ مذهَبٌ لبعضِ أهلِ العَرَبيَّة، وأمّا سيبويه؛ فيَرى في مِثْلِ هذا أنَّ الحَذْفَ حاصلٌ دَفْعَةً واحدةً مِن غيرِ تَدْريجٍ[2].

بَلاغَةُ المَجازِ العَقْليِّ في ﴿وَزَادَهُمْ﴾:

ازْديـادُ الكُفّارِ بُعْدًا عَنِ الإيمانِ كُلَّما دُعوا إِلَيْهِ؛ دَلـيـلُ سَـفَـهِ عُقولِهِم

إِسْنادُ النُّفورِ إلى القَوْلِ المُشْتَمِلِ الأمرَ بالسُّجود في قولِ اللّه تَعالى: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ مجازٌ عَقْليٌّ؛ لأنَّ القولَ سببٌ لِتِلْكَ الزِّيادة؛ إِذْ قَد كانوا أصحابَ نُفورٍ مِنَ السُّجود للّهِ سُبْحانَهُ، فلَمّا أُمِروا به؛ زادوا بُعْدًا مِنَ الإيمانِ، فيَكونُ كَقَوْلِه تَعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: 6][3].

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 16/ 561.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 40.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 40، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 63.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»